السياسة المثلثة للنظام الايراني الخليج العربي ـ الشرق الاوسط ـ القرن الافريقي

قابوس : دمية الشاه التي يحركها ضد انظمة الخليج

نيكسون : الخليج ضرورة للامن الاميركي والغربي ...

سياد بري : هل يعطي ايران موطىء قدم في الموانىء الصومالية ؟

يؤكد منطق الاستراتيجية على ضرورة استيعاب الاشياء والاحداث بمجموعها ، وفهم ترابط جزئياتها ببعضها البعض من حيث التأثير او التأثر المتبادلين ، سواء اكان ذلك فيما يتعلق بالوضع الداخلي ام الخارجي .

من هذا المنطلق فان اية نظرة استراتيجية لاهم مناطق الصراع في المنطقة ، سترينا مقدار ترابط احداث منطقة الصراع العربي ـ الصهيوني المعروفة بمنطقة الشرق الاوسط ، مع منطقة القرن الافريقي والبحر الاحمر ، كذلك علاقة الاولى بمنطقة الخليج العربي ، وعلاقة الاخيرة بمنطقة البحر الاحمر . فمنابع النفط (الخليج) على صلة مباشرة وغير مباشرة بممرات النفط (البحر الاحمر والمحيط الهندي) وكذلك بحالة الصراع العربي ـ الصهيوني .

على ضوء هذا المنطق الستراتيجي تتحرك خيوط السياسة الدولية للقوى العظمى ، حيث تخضع جزئيات مواقفها وسياستها في منطقة صغيرة لستراتيجيتها الاكبر على المستوى العالمي، وعلى نفس النسق تتحرك الدول الاقليمية الرئيسية ذات المطامع التوسعية ، وتشكل ايران نموذجا لهذه التحركات او التوجهات ، خاصة وان نظام الشاه الحالي يسعى لبناء امبراطورية كبرى تعيد امجاد فارس القديمة !

فشل او نجاح هذه التوجهات الطموحة مسألة اخرى في موضوع تناولنا لها ، اذ انها تعبر عن حقيقة وجود مخاطر نهوض قوة مسلحة تسعى لانتهاز الفرصة لتحقيق اطماعها ... ويعبر عن جوهر هذه التطلعات « شهرام جوبين » احد كبار منظري السياسة الستراتيجية الايرانية ، الذي قدم تقريرا للمؤتمر السنوي الستراتيجي في السويد عام ١٩٧٦ بعنوان « المنافسة في البحار والامن في جنوب غرب اسيا » ، يقول فيه :

لقد سعت ايران دوما لتلعب دورا رئيسيا من اجل ضمان امنها وحصولها على حقها في جزر ابو موسى الطنبين ... وبعد ان يؤكد جوبين هذا « الحق » المزعوم نراه يمده لابعد من حدود منطقة الخليج العربي مستشهدا بما سبق ان قاله الشاه حيث يضيف :

« بعد انجاز قوة بحرية حديثة ، سوف لا ينحصر هدفنا في القيام بالدور الريادي في الخليج او المياه المجاورة لايران ، ذلك لان ايران تحتل موقعا يمنح مهامها ابعادا تتجاوز حدودها لتشمل المنطقة » .

والمياه المجاورة لايران التي يعنيها التقرير هي مياه المحيط الهندي ، اضافة للخليج العربي ، ومعنى الرغبة لتجاوزها هو الوصول الى بحر العرب والبحر الاحمر .

ويشير كتاب اخر بعنوان « السياسة الخارجية الايرانية في الشرق الاوسط » ، صادر عن مؤسسة ترعاها الاستخبارات الايرانية نشر عام ١٩٧٥ عن « معهد الدراسات السياسية والاقتصادية الدولية في طهران » ، حيث يؤكد هذا النهج الشمولي للنظام وربطه بين المناطق في توجهاته السياسية العامة ، وعندما يتحدث عن نتائج اعادة افتتاح قناة السويس واثرها بالنسبة لايران يحددها في :

* تزايد مصالح ايران التجارية في القناة .
* اهتمام ايران المتزايد بتصدير نفطها عبر القناة .
* ان اعادة افتتاح القناة سيؤدي ايضا الى مرور السفن السوفياتية ، ومد النفوذ السوفياتي في المحيط الهندي والبحر الاحمر ، لذلك تعمل ايران على تقوية اسطولها البحري لتحقيق هدفين اساسيين هما : حماية وحراسة مياه الخليج والتمركز في قاعدة شاه بهار في خليج عمان لضمان سلامة الطرق البحرية المؤدية الى البحر الاحمر .

وما يعنينا على ضوء كل ما تقدم هو علاقة السياسة الستراتيجية الايرانية باوضاعنا العربية، في الخليج العربي ـ القرن الافريقي والبحر الاحمر ـ الصراع العربي الصهيوني .

الخليج العربي :

في عام ١٩٧٤ وقف الرئيس الاميركي الاسبق ريتشارد نيكسون مرحبا بشاه ايران في واشنطن بقوله : « انه لمن الامور المثيرة للاهتمام ان ايران توجد في منطقة مركزية رئيسية بالنسبة الى جميع المناطق التي توجد فيها تهديدات للسلام » !

وقد اكد شاه ايران كلمات نيكسون ، وذلك في المقابلة التي اجرتها معه مجلة نيوزويك الاميركية الاسبوعية بتاريخ ١٤ ـ ٥ ـ ١٩٧٣ بقوله: « ان الامن الاوروبي يصبح مجرد موضوع سافر دون امن واستقرار الخليج » ويضيف ، ان الولايات المتحدة واوروبا واليابان تعتبر الخليج جزءا لا يتجزأ من امنها ، ولكنها ليست في وضع يتيح لها ضمان هذا الامن ، ولهذا السبب نحن نفعل ذلك لاجلها ...

ويستمر الشاه في حديثه مشيرا الى الاسباب الحقيقية لتسلحه المكثف فيضيف : « ان ما نشتريه من السلاح هو رادع سيصدقه جميع جيراننا ... ان مبدأ نيكسون يقول ، ان الولايات المتحدة ستساعد من يساعدون انفسهم ، وهذا ما نفعله ! » .

وخلال اعوام السبعينات سعت الولايات المتحدة لايجاد « بدائل اقليمية » لها في اكثر من منطقة وكانت ايران افضل دولة مرشحة لان تلعب دور دركي الامبريالية الغربية في الخليج العربي . وقد اكد السناتور الاميركي وليم فولبرايت يوم كان رئيس لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي ، هذه الحقيقة عندما اوضح بانه في حال تعرض المصالح الاميركية للخطر (وكان يقصد المصالح النفطية بعد الحظر النفطي الجزئي اواخر عام ١٩٧٣) ، فان الولايات المتحدة ستضطر للتدخل ، وليس شرطا ان يكون تدخلها مباشرا ، وانما بواسطة بديلين اقليميين لها ، هما ايران واسرائيل .

وفعلا كانت ايران كبديل او بالاحرى كشريك اقليمي للامبريالية الغربية في المنطقة ، قد بدأت سياستها التوسعية بحملة سياسية مكثفة ، اعقبتها باحتلال الجزر العربية الثلاث اوائل عام ١٩٧١ (ابو موسى ، الطنبين الصغرى والكبرى) وبعد سلسلة من التهديدات الواضحة والمستترة للدول العربية الخليجية قامت بغزوها لسلطنة عمان اواخر عام ١٩٧٣ ، ثم احكمت سيطرتها على مضيق هرمز وهو المعبر الرئيسي للنفط الخليجي ، وبعدها طرحت موضوع تنظيم العلاقة في منطقة الخليج العربي ، جويا وبحريا ، اذ هيمنت على نصفها الشرقي في الجو والبحر .

ومع تطور الاحداث في العالم ، وفي الشرق الاوسط ، سعت ايران الى ايجاد ما يسمى « بالامن الخليجي » لتضمن هيمنتها على دول المنطقة من خلال اتفاق يوقع مع هذه الدول . الا ان تخوف دول الخليج العربية ، وتحديدا السعودية من هذا المشروع انذاك افشل مؤتمر مسقط الذي عقد في ١٥ ـ ١١ ـ ١٩٧٦ .

ولكن ذلك لم يمنع استمرار سياسة الشاه لتحقيق اهدافها في السيطرة على الخليج العربي . فواصل الشاه اتفاقاته الثنائية مع دول المنطقة واستمر يلوح لها بذراعه العسكرية التي يمكنها ان تطال خلال دقائق « العدو » اذا ما تحرك ضدها !

وهو مؤخرا ـ وبعد ان استفاد من مواقعه داخل الجزء العربي من الخليج ـ قام بتحريك سلطنة عمان ضد دولة الامارات حول مناطق حدودية مع امارة رأس الخيمة ، مثيرا بذلك ثورة توتر جديدة ، ذات ابعاد خطيرة ، يضاف الى ذلك انه يقوم بتحريك امارة « دبي » بالضد من الدولة الاتحادية ، كلما وجد الاخيرة تتجه للتنسيق مع السعودية . وفي الحقيقة يجد المرء الانسجام العام في السياسة الايرانية في هذه المنطقة ، يعكس السياسة العربية المتخبطة الخائفة والتي يصفها « الايرانيون » انفسهم بـ « الجبانة » !

القرن الافريقي والبحر الاحمر :

مع تعقد ظواهر الصراع في البحر الاحمر والقرن الافريقي ، وتغير التحالفات الدولية هناك ، حاولت ايران ان تمد يدها في شؤون هذه المنطقة كجزء من استراتيجيتها العامة المشار اليها انفا . فبعدما كانت تمد نظام هيلاسي لاسي بالاسلحة والمعونات المالية ضد الثورة الارتيرية بهدف عدم تحويل البحر الاحمر الى بحيرة عربية ، عادت بعد ان تغيرت معالمات هذا النظام بعد الاطاحة بالامبراطور العجوز ، لتعلن تاييدها للصومال ضد اثيوبيا . وعلى الرغم من ان الموقف الايراني المذكور يختلف عن الموقف الاميركي ، فانه قد جاء معبرا عن طموحات الشاه الواسعة في ان يكون له نفوذه القوي في هذه المنطقة .

ومع ان الشاه يدرك جيدا من جهة اخرى ان موقفه حول صراع القرن الافريقي والبحر الاحمر مرهون الى حد ما بالموقف « الغربي » من ناحيته العملية ، الا انه يجد مجالا للتحرك ، خاصة وانه ـ اي الشاه ـ يسعى لايجاد تسهيلات بحرية له في مناطق المحيط الهندي ، عن طريق ايجاد موطىء لقدمه في الموانىء الصومالية ، ومنها « بربرة » .

الصراع العربي ـ الصهيوني :

تاريخيا اتخذ النظام الايراني موقع العداء للقضية الفلسطينية ، هذا الموقف الذي ينبع من طبيعة النظام الايراني نفسه ، للتشابه بينه وبين الكيان الصهيوني ، يتمثل في :

* التوسع والاحتلال * القوة العسكرية الغاشمة * العنصرية التي تحاول مد جذورها في تاريخ غابر * العداء للعرب .

في ١٨ اذار ١٩٥٠ اعترف الشاه رسميا بالكيان الصهيوني ، الا ان موقف حكومة « مصدق » الوطنية انذاك ، وما رافقه من ضغط شعبي ، جعل الشاه يتراجع ويسحب ممثله في تل ابيب ، الا ان العلاقات بينهما بقيت سرية ، فيما توثقت العلاقات الاقتصادية ، واصبح النفط الايراني عمادها .

فالحركة التجارية بين الطرفين تضاعفت ١٢ مرة بين العامين ٥٨ و ٦٣ واستمرت تتصاعد بنفس الوتيرة ، وهذا التطور في العلاقات مرده تطور العلاقات السياسية وعلاقات التعاون العسكري السرية بينهما .

فيما كانت الحركة الوطنية الايرانية ولم تزل ترفع شعارها « النضال ضد الثالوث : الامبريالية ـ الصهيونية ـ نظام الشاه » نتيجته تتحسس الجماهير الايرانية النفوذ الصهيوني في بلادها .

ويشير الكاتب الصهيوني « ميشال سلومون » الى ان يهود طهران بالخمسة والعشرين كنيسا التي يملكونها وبحياتهم الاجتماعية النشطة يعطون انطباعا سليما ... لكن هذا الانطباع خادع ... ويفسر « سلومون » اسباب هذا الانطباع غير الحقيقي فيضيف :

« يعيش هؤلاء اليهود في حالة تأهب للهرب ، والشاه هو حامي اليهود على رؤوس الاشهاد وهم يقدرونه تقديرا من القلب ، فمصيرهم مرتبط بمصير الملكية » .

ولقد كشفت حرب اكتوبر دور الشاه في دعم الكيان الصهيوني ، حيث قامت سفنه الحربية بحراسة ناقلات النفط المتوجهة الى ايلات في الارض المحتلة عبر مضيق باب المندب الذي كانت تفرض عليه البحرية العربية حصارها ، وكانت ايران في ذلك الوقت تمد الكيان الصهيوني بنصف حاجته من النفط ، اما الان وبعد ان اعاد الكيان الصهيوني ابار سيناء الى مصر نتيجة اتفاق سيناء الثاني ، فقد اصبحت ايران الممول لاكثر من ٩٠ بالمئة من حاجة الكيان الصهيوني الى النفط .

وتقول الحركة الوطنية الايرانية انه خلال حرب اكتوبر ، جمعت اموالا طائلة بواسطة المجمع الصهيوني ـ اليهودي في طهران وشيراز وغيرهما من المدن الايرانية ، كما واساهمت منظمة « الشير وخورشيد برخ » الايرانية الصحية بالتبرع بقناني الدم للجرحى الصهاينة . ومنذ عام ١٩٧٤ ادرك النظام الايراني ، انه لا يستطيع ان يستمر في سياسته الراهنة هذه وان يكسب ود « العرب » ، لذلك فتح جسورا مع نظام السادات وقدم له بعض المساعدات الاقتصادية نظرا لتزايد مصالحه في المنطقة وتوقعه اعادة افتتاح قناة السويس ، من هنا اراد الشاه ان يعزز مواقعه هذه بان يدخل في حلبة « التسوية » القائمة للصراع العربي ـ الصهيوني ، نظرا لعلاقاته الوثيقة بالكيان الصهيوني من جهة وبالدول العربية المعنية مباشرة بالموضوع من جهة مقابلة . واخيرا جاءت تحركاته مع الاردن ثم مصر لتؤكد هذا المنحى . فقد وصفت مصادر مصرية مطلعة محادثات الشاه مع السادات في اسوان اوائل هذا العام ، بانها جزء من الدبلوماسية الهادئة التي ينوي الزعيمان اتباعها لحل النزاع في المنطقة . وقد صرح الشاه خلالها بان ايران معنية بصورة مباشرة وغير مباشرة في النزاع العربي ـ الصهيوني (النهار ١١ ـ ١ ـ ١٩٧٨) . ولعل تطور هذه المواقف نابع من تغير الكثير من الموازين الاقليمية والدولية في المنطقة والتي تفسر لنا نشوء ظواهر جديدة في العلاقات السياسية قد تبدو متناقضة احيانا .

* * *

وفي نهاية الامر لا بد من فهم الجوانب الاخرى لهذا الصراع ... الصراع العربي ـ الايراني ... الصراع من اجل عروبة الخليج ... الصراع لاجل منع تدخل القوى الكبرى سواء كانت قوى دولية اقليمية في شؤون البحر الاحمر ... خاصة النظام الايراني كما اشرنا قبلا . ولا بد من الاشارة هنا الى ما سبق ان ردده الشاه اكثر من مرة للصحافة العالمية والعربية ، وما نشرته صحيفة السياسة الكويتية (٢٠ ـ ١٢ ـ ١٩٧٤) ، حيث يؤكد دائما على جوهر علاقته بالنفط والامبريالية : « ان ايران البلد الوحيد القادر على حماية وتوفير الامدادات الى العالم الحر ، فان سقطت ايران سقط هذا العالم !! » .

مصير صهيونيي ايران مرتبط باستمرار نظام الشاه!

ايران تقدم ٩٠ في المائة من حاجة الكيان الصهيوني للنفط...